مستويات الخطاب المعرفي : المعنى والتأويل والثقافة

أ.د. عبد الكبير الحسني

جامعة السلطان مولى سليمان

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

بني ملال – المغرب

البريد الإلكتروني: elhassani77@gmail.com

الاستلام	٢٠١٧\٦\١٥	المراجعة	٢٠١٧\٧\٢٠	النشر	2017/8/٣٠

الملخص:

تعمل هذه الدراسة على تفكيك الخطاب باعتباره مكوّنا من مكونات النشاط المعرفي، و هو الخطاب الذي افترضنا من خلاله أنه إسقاط لعلاقة تفاعلية بين المعنى و التأويل ، وليس حول مقتضيات سلوكية ترتكز فقط على مستويات مجردة لا حياة فيها، فهذا الانتقال من دراسة الخطاب بناء على مستويات تحليله إلى اعتباره نشاطا معرفيا يبنى على المعنى و التأويل جعل منه كائنا حيا يحيى بالتفاعل و يموت بعدم الفهم الدقيق لمضامينه. كما نحاول أن ندافع أن هذا التصور المعرفي (Cognitive concept) هو من حوّل تحليل الخطاب من مجرد آلة واصفة للتركيب أو الدلالة أو الصوت أو المعجم... إلى نشاط معرفي يتجاوز المألوف ويخترق المعارف الإنسانية المتفق عليها، و بالتالي مؤكد أن التفاعل مع الخطاب يقتضى معالجة تقودها عمليات ذهنية موصولة بسلسلة من المستويات المتشابكة و المتداخلة التي تعدّ أساسا مركزيا في الكشف عن معنى الخطاب و رسالته.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب ؛ مستويات التحليل اللغوي ؛ الدلالة المعرفية ؛ المعنى ؛ التأويل ؛ الثقافة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

Levels of cognitive discourse: meaning, interpretation and culture

Prof. Abdelkabir Elhassani

University of Sultan Moulay Slimane

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Beni Mellal, Morocco

Email: elhassani77@gmail.com

Received	15/6/2017	Revised	20/7/2017	Published	31/8/2017

Abstract:

This study works to deconstruct discourse as a component of the cognitive activity. It is the discourse in which we assumed that it is the projection of an interactive relationship between meaning and interpretation, not about behavioral imperatives based solely on abstract, lifeless levels. His analysis as an activity of knowledge built on the meaning and interpretation made him a living object interacting and die inaccurate understanding of the contents. We are also trying to argue that this cognitive perception is about the analysis of discourse from a simple machine of composition, meaning, sound, or lexicon ... to a cognitive activity that goes beyond the familiar and penetrates the agreed human knowledge, and thus it is certain that interaction with discourse requires Process-driven mental processes linked to a series of interlocking and interlocking levels that are central to the disclosure of the meaning of the letter and its message.

Keywords:

Discourse; levels of linguistic analysis; cognitive semantic; meaning; interpretation; culture.

@ 2017 NSP

تقديم

تعتبر دراسة الخطاب من أعقد الإشكالات التي واجهتها اللسانيات الحديثة، إلا أنه على الرغم من كل محاولات النقاد و اللغويين الذين حاولوا أن يستبينوه على مدى سنين طويلة، إلا أنهم بالكاد استطاعوا أن يبدؤوا في رسم و فهم ملامح تعقيداته، فبدأت تتموقع في الأفق ملامح لوحة أكثر وضوحا سواء على مستوى تركيب الخطاب أو دلالته.

فدراسة الخطاب، باعتباره موضوعة لسانية، ظل مشغولا باستمرار باستحضار مستويات التحليل التقليدية، مشغولا بالشكل الذي يختزل فيه الخطاب ثقافتنا و معارفنا، كيف نصل إلى المعنى؟ كيف نبني مسارات التأويل الممكنة ؟ وكيف نتفاعل معه عندما تظهر الحاجة إليه ؟ فالخطاب ليس بضاعة تؤخذ هكذا، بل هو لحظة من لحظات التعبير عن الفكر التي يتجاوز بعضها بعضا ، فكلّ واحد من تلك الأسئلة يدخل في سياق الطرق المتاحة لرسم ملامح الخطاب كمحاولة للانتقال من مجال استهلاك الخطاب إلى مجال دراسته و تحليله، كثُر الحديث عنه بطريقة تصورنا فيها أننا سنقف يوما على نتائج و خلاصات، إذ سرعان ما وجدنا أنفسنا أمام كتابات إنشائية لا توظف من التحليل إلا جماليةُ في اللغة و زخرفُ في القول.

عندما نعمل على تفكيك الخطاب باعتباره مكوّنا من مكونات النشاط المعرفي، فإننا نفترض أنه إسقاط لعلاقة تفاعلية بين المعنى و التأويل ، وليس حول مقتضيات سلوكية ترتكز فقط على مستويات مجردة لا حياة فيها، فهذا الانتقال من دراسة الخطاب بناء على مستويات تحليله إلى اعتباره نشاطا معرفيا يبنى على المعنى و التأويل جعل منه كائنا حيا يحيى بالتفاعل و يموت بعدم الفهم الدقيق لمضامنه. نفترض أن هذا التصور المعرفي (Cogntive concept) هو من حوّل تحليل الخطاب من مجرد آلة واصفة للتركيب أو الدلالة أو الصوت أو المعجم... إلى نشاط معرفي يتجاوز المألوف ويخترق المعارف الإنسانية المتفق عليها، فنفترض، تبعا لذلك، أن التفاعل مع الخطاب يقتضى معالجة تقودها عمليات ذهنية موصولة بسلسلة من المستويات المتشابكة و المتداخلة التي تعدّ أساسا مركزيا في الكشف عن معنى الخطاب و رسالته.

1- الخطاب : مقاربة لسانية

من المهم جدا أن نؤكد منذ البداية أن تحليل الخطاب على المستوى اللساني قد ارتبط أشدّ الارتباط بتحليل الجملة باعتبارها وحدة تنسجم مع النسق و تخضع في محكم بنائها للنظام العام الذي ينتظم التحليل اللساني، و إذا ما نحن حاولنا أن نبحث مليا في ماهية الخطاب سنجده في نهاية المطاف مجموعة متسلسلة من الجمل التي تأتلف فيما بينها تركيبيا لتحقق معنى معيننا. و بالتالي إيمانهم القوي بأن ما ينطبق على تحليل الجملة قد ينطبق على تحليل الخطاب.

وحتى لو افترضنا جدلا بهذه القراءة ، فإن ذلك يقدم لنا إشارات قوية على قصور التحليل اللساني إذا ما ربط نفسه بالجملة و اعتبرها مقياسا للتحليل اللساني بشكل عام ، لأنها تشدّ عليه الخناق في مستوى الجملة التي حددها اندريه مارتيني (Martinet Andre) أنها أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وتامة للخطاب .

إلا أن هذا الخناق لا يمكن أن يكون سببا في القول بعجز اللسانيات على معالجة قضايا أكبر من الجملة، وبالتالي عدم عجزها عن تحليل الخطاب . فهنا نسجل في عجالة أنه رغم الأهمية التي يوليها اللسانيون للغة باعتبارها المجال الذي تجري داخله كل معاني الكينونة، فإن مجالات تحديد بنية الظاهرة اللغوية ظلت متباينة. فلم يستقر علماء اللغة على تعريف واحد و موحد للكلمة، فمنهم من اعتبرها "وحدة لسانية تفرض نفسها، خرجت من الباب لتعود من النافذة"[1] و الجملة هي: "تتابع من الكلمات والمرقمات التنغيمية[2] وهكذا تتداخل الكلمة والجملة في مفهوم متلاحم ، وعليه فإن الجملة تتشكل من "مجموع الوحدات التي يصح أن يقف بينها (الكلمات) بالإضافة إلى درجة الصوت والتنغيم والمفصل ، ونحو ذلك مما يدخل في إيضاح المعنى ".

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

إن هذا الالتباس في تحديد الكلمة أو الجملة يمكن أن نرده إلى زاوية النظر التي ينطلق منها كل لساني على حدة، إذ هناك من اللغويين من يتبنى وجهة نظر معجمية فيحددها من منطلق أنها كل دليل يعبر عن فكرة في قول ما، و منهم من يستند إلى مقاربة تركيبية التي تؤسس للكلمة من منظور أن الكلمات هي وحدات الخطاب غير قابلة للتقسيم.و غيرهم كثير...

و يزداد الأمر التباسا كلما توغلنا كثيرا في تحديد بنيتها ، إذ يمكن أن تكون مفردة، كما يمكن أن تكون مركبة، بسبب العناصر الصرفية أو النحوية التي تلحقها أو تسبقها[3] .

إن هذا المعطى التصوري للكلمة أو الجملة لا يقلل من قيمة اقترابها من مفهوم الخطاب ، فإذا كانت مستويات: الكلمة والصوت والنحو تشكل إطار الجملة ، وتعمل عل بناء المعنى، فهذا لا يعوق دراسة الخطاب من وجهة نظر لسانية، رغم الأخطاء التي ارتكبت من اللسانيين في عدم تقديرهم للأهمية البالغة القائمة بين الكلمة و الجملة.و تأثير ذلك على تكوين الثقافة و بناء الخطاب.

إن الخطاب الذي نقف عنده اليوم هو خطاب معرفي لم يجد لنفسه مجال اشتغال حقيقي إلا بعد مسيرة طويلة من البحوث و الأعمال التي كانت متخبطة بين مختبر اشتغاله ضمن اللسانيات و مرة ضمن علم الكلام، الشيء الذي خلق مشكلا كبيرا في تموقعه، ممّا خلف طرحان أساسيان أولهما إذا كان الخطاب مجموعة جمل تتوافر على شرط النظام ، فإننا نكون قد تعارضنا مع المنطق الصارم للسانيات التي تحدد موضوعها في الجملة ولا تتجاوزه، أي أن الخطاب كما يرى رولان بارت "يمتلك وحداته وقواعده و" نحوه ": و النحو هنا ما هو إلا آلة تعمل على رصد بناء النصوص و كيفية نسج الخطابات المختلفة في مقامات متعددة و متنوعة لرصد كيفية تماسك النص و انسجامه ليحقق أغراضه التداولية، و عندما نتحدث عن البعد التداولي في معالجة النص فإننا نكون قد انتقلنا معرفيا من نحو الجملة إلى نحو النص و منه الخطاب.

هذا التأسيس لما بعد الجملة، كان من الطبيعي أن يجد لنفسه مجال دراسة لسانية أخرى يكون الخطاب موضوعا ثانيا لها . وقد كان للسانيات الخطاب ارتباط وثيق بالبلاغة . لكن وكنتيجة للعبة تاريخية ، وبانتقال البلاغة إلى صف المحسنات البديعية للأدب ، وانفصال هذه الأخيرة عن دراسة اللغة فقد أصبح من الأكيد حديثا العودة إلى إثارة المشكل المعالجة من جديد[4]. لذلك أتصور أن الخطاب هو صورة ثقافية تتجسد من منطلق الجمع بين صورة الواقع اللغوي و دلالة التصورات التي تجمع بينهما، على اعتبار أن سمات الواقع و سمات الدلالة تتبلور في النهاية في شكل كلمة أو جملة و منه الخطاب، قد يغدو الأمر تجانسا لكنه مفعم بالكثير من الألغام المرتبطة بتأسيس المعنى، إن الخطاب الذي نتصوره هو تجسيد للمعنى و تمظهر له، و المعنى هنا ميثاق ثقافي يجمع بين ملقي و متلقي باعتبارهما أساس الجماعة اللغوية و منبر التواصل اللغوي، ليتحول بذلك الخطاب إلى علامة تجارية للمنتوج اللغوي للجماعة أو العشيرة اللغوية[5]، نترجم من خلاله معانينا و أفكارنا و معارفنا، و الجمع بين كل هذه المكونات يؤسس للثقافة.

2 - من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

عندما نتأمل التطور الذي حصل في مجال اللسانيات سنعرف أن التاريخ الطويل لها قد رسمت ملامحه الكبرى مع "فردناند دوسوسير" من خلال كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، و هو الكتاب الذي فتح الباب أمام مناقشة الكثير من الظواهر اللغوية عبر مستويات تقابلية بين اللغة و اللسان و الكلام من جهة و بين الصوت و اللفظ والمعجم والتركيب من جهة أخرى ، المهم في العملية كلها أنه قد حصر مجال اللغة في اعتبارها بنية داخلية لا تتجاوز حدود اللفظ أو الكلمة، بمعنى تم اعتبار الكلمة بنية مغلقة منها ينطلق التحليل إليها يتم الوصول. شكلت هذه النقطة بداية لانطلاق مشروع لساني كبير قاده "نعوم تشومسكي" في صيغة نحوية أطلق عليه بالنحو التوليدي الذي أسهم بشكل كبير في الانتقال من بنية

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الجملة و مكوناتها القاعدية إلى البحث المحوسب في العلاقات بين التراكيب؛ في ظل الاعتماد على مفهومين محورين هما التحويل و النقل، بناء على توظيف لكفايتي الملاحظة و التفسير اللتان تظهران تجليتهما في بنتين عميقة و سطحية، و لشدة ارتباط اللسانيات التوليدية بالكفاءة و الإبداع يمكن التأكيد أنه لمعرفة أهمية اللغة من حيث هي فعل و ممارسة يجب عليه أن يعود إلى نظرية تشومسكي اللغوية و أبعادها التفسيرية و التحليلية من خلال تركيزها على العلاقة بين التركيب اللغوي و الخصائص الفطرية لعمليتي التفكير و الكلام.

تبعا لذلك، قد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تمايزا بين نظرية دوسوسير البنيوية ونظرية تشومسكي التوليدية ممّا يعطينا بعدا مقلقا في تحليل الكلمة و منه الجملة، خصوصا إذا ما تم ربط بنية الكلمة بمستوياتها التحليلية العامة، الشيء الذي يفسح المجال أمامنا لوضع مجموعة من الملاحظات التي تهم مجال انطلاق كل واحد منهم ، فإذا كان البنيويون ينظرون إلى اللغة باعتبارها بنية مغلقة ، فإن التوليديين ينظرون إليها باعتبارها تعبير عن الفكر، و هو التعريف الذي لم يقف عنده الوظيفيون كثيرا عندما رفضوا أن يكون هدف اللغة هو التعبير عن الفكر، بل تجاوزا الأمر بتأكيدهم أن الهدف من استعمال اللغة هو التواصل، و التواصل هنا يفتح الباب أمام ظهور تيار لساني جديد يعطي أهمية كبرى للخطاب و المعنى و التأويل، بمعنى ضرورة الكشف عن الملابسات التي تساهم في إنجاح العملية التواصلية أو البحث في المعيقات التي تحول دون و إنجاحه، و هذا أمر يتطلب عدة منهجية و معرفية دقيقة لكي نفهم الخطاب و نتواصل معه و نمتلك آليات تأويله.

على هذا الأساس إنبنى الخطاب اللساني الحديث كونه مجالا ينظر إلى الخطاب باعتباره كلّ كلام يتجاوز الجملة الواحدة التي تتحول في إطار النص إلى مكون صغير من مكونات الخطاب، ليغدو بذلك الخطاب كثلة نطقية لها مستويات عامة مرتبطة بالمعنى و التأويل، من جهة، و من جهة أخرى إنجاز في مقام محدد وفق شروط سياقية مضبوطة أهمها المخاطب و الخطاب و المخاطَب، ليكون الهدف الأسمى من تداخل كل هذه العناصر هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو مجموعة الأشخاص، و بالتالي يكون الخطاب متعدد في معناه ، فهو من زاوية وحدة تواصلية إبلاغية، و من زاوية أخرى إجراء بين المتكلم و المخاطب يتحدد شكله وفق غايته الاجتماعية و الثقافية ليتأسس بموجب ذلك نوع الخطاب المقصود بين الخطاب الديني و التربوي و الأدبي و الفلسفي....و تجاوزا لمسألة توسل الخطاب باللغة في تحقيق غاياته، فإن الجوهر الحقيقي للمسألة يتجاوز اللغة إلى مسألة المقاصد و المعاني التي نروم إيصالها إما كتابة أو نطقا.

وبناء عليه، تم اقتراح مسار منهجي يبحث في لسانيات الخطاب بمفاهيم محددة تماما، إلا أن المشكل هنا، يكمن في وجود مجموعة من المستويات التي تقف على مسافة من التحقق، كما هو الحال عندما نبتغي كشف المعنى من المكتوب أو البحث عن المقصود من المنطوق، و هي مستويات أعتبرها فوق-لغوية (Meta-linguistic) لأنها تتجاوز مألوف التحليل من زاوية المستويات المعتادة في ذلك، وهو الأمر الذي يتبلور جليّا في قابلية المخاطب تأويل كلام المخاطب بطريقة ما تنسجم مع مستوى فهمه للخطاب أو بحسب تدخل كثير العناصر الاجتماعية و الثقافية و الفكرية و حتى النفسية إذا ما نحن وسعنا أفق ذلك و فتحنا جوانب العُقد و الكبث و النرجسية ....كلّها عوامل أجدها مؤثرة بشكل كبير في بناء العلاقات التواصلية سواء من جانب الوصول إلى نقطة تواصل أو بالأحرى نقطة تفاهم أو من جانب إفشال العملية بعدم الالتقاء في الخطاب ضمن منحنى واضح و جلي للطرفين. إذ أن حساب المسار التواصلي في ذلك يساعدنا على استنباط العديد من المتغيرات التي تساهم بشكل كبير في مساعدتنا على بناء العديد من التصورات الأخرى التي نتحسسها من منطلق هذه الأوليات (الخطاب) و(التواصل)، فنستطيع، تبعا لذلك، بناء العديد من المقاربات التي تعطينا مفاهيم من قبيل: النص، السياق، القصدية ، الإبلاغ، الفهم، الإفهام ،العلامة، المعنى، التأويل، التركيب ، الدلالة... . إلا أن هذه المفاهيم لا يمكن أن تكون وسيلة تنبؤ، ولا تستطيع أن تُحوسب الخطاب بطريقة علمية و دقيقة لتداخله المباشر مع ذوات أخرى لا نعرف حجم إدراكها للمقصود و التنبؤ بمعناه.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

فاستنادا إلى الأدلة اللغوية التي قدمت في أطار اللسانيات التوليدية أو الوظيفية، فإن مسار بناء تراكيب و دلالات الخطاب قد تكون مسارا مفضلا لبناء قوالب لغوية مركبة تتجاوز حدودها المعرفية لتستهدف أنماطا متعددة من التأويلات الممكنة [6].

3- مستويات الخطاب المعرفي

إذا كان منطق البحث الصحيح يقول بأن أي تحليل علمي لمادة ما يجب أن يرتبط بتوفره على مادة قابلة للتحليل و منهج يقود سفينة التحليل بطريقة سليمة، فإن هذه المعايير تنطبق بشكل قوي على الخطاب الذي تحول إلى مادة علمية مستقلة في التحليل و الممارسة فوجد لنفسه مفاهيم علمية دقيقة مستثمرا في ذلك مخلفات الحرب الباردة بين اللسانيات و الأدب من جهة و بين الأسلوبية و البنيوية من جهة أخرى، نظرا لحاجة النص إلى نظرية أسلوبية دقيقة تضطلع بتفكيكه[7] و كشف مكونات الظاهرة الأدبية إلى مستويات مختلفة و عامة، و حاجته إلى نسق بنيوي للبحث في الترابط بين تلك المستويات ، فأصبح البحث في الخطاب يتخلص من تبعات التَملّك المجالي و يقترب رويدا رويدا من أفاق أرحب تجمع بين اللسانيات و الأدب، هذا التجاوز الذي يمكن أن نحدد معالمه الكبرى في الانتقال التدريجي من البحث في تركيب الجملة إلى البحث في نحو الخطاب ، إلا أن هذا الانتقال صاحبه انتقال أخر مفاده تحويل النص من بنية مغلقة إلى بنية منفتحة على كل أشكال التواصل الإنساني، منفتحة على دوائر ثقافية واسعة و رحبة لها من الإمكانات المعرفية ما يصوغ لها الحق في اعتبار النص ظاهرة ثقافية.

لم يكن من السهل أبدا تأسيس نظرية في الخطاب ترضي جميع الأطراف و المذاهب و المدارس المتدخلة في تحليله و مناقشته مما يجعلنا مندهشين إلى حجم المفاهيم و التصورات التي أنتجت في المجال و التي تتجاوز حدود الخيال؛ مما أوقعنا في مشكل الضبط المعرفي لمفهوم الخطاب ذاته؛ نظرا لتشعب المعارف المؤسسة له بين الأدب و السيميائيات و اللسانيات و علم النص و علم الاجتماع... و أكبر دليل على هذا التداخل كثرة التعريفات التي لم أجد بدا إلا أن أستعرض بعضها من قبيل (Textologie) كما وظفه هارفج، و علم دلالة النص عند مريسلر، أما سوينسكي فيشير إلى نحو النص و دلالة النص و علم اللغة النصي و نظرية النص...[8] إلا أنني أؤكد أن المجال القابل لاحتواء هذه المعارف و العلوم هي اللسانيات المعرفية لكونها تشمل و تنهل من الكل ، لذلك أجد أن النظرية الحقيقية القادرة على تشخيص النص هي النظرية التي تخرج من رحم اللسانيات، و هذا الكلام يجب أن نجد له مبررات في إطار نظريات تقارب بين نحو الجملة و نحو النص، أو لنقل نَقل كلّ استنتاجاتنا من مجال اللغة و تطبقها على الخطاب ، فما ينطبق على النص ينطبق على الخطاب مع اختلافات بسيطة جدا يرتبط بكون الخطاب يمثل للظاهرة الثقافية في حين أن النص يمثل للظاهرة اللغوية. فالنص كائن حي يمتاز بدرجة كبيرة من الاتساق و الانسجام و التماسك الأمر الذي يتيح لقارئه استرجاع مكوناته الدلالية و الثقافية العامة.

إن بناء أي لمشروع ثقافي في اللغة يجب أن يتأسس على منطلقات الصورنة لسانية ، خصوصا بعدما أدخلت المعرفة اللسانية الحديثة النص إلى مختبر التجربة تحليلا و توصيفا[9] و هو الوصف الذي قام على مرتكزات تنظر إليه باعتباره خاصية لسانية إنسانية[10] لها كفايتها الخاصة المساهمة في إنتاج البنى و فهم معناها، و هي البنى التي تبرمج من خلال علاقات تربط بين التراكيب الصغيرة و التراكيب الكبيرة داخليا على المستويين الصرفي و التركيبي، و خارجيا بين أفعال الخطاب و التوجه البرهاني للنصوص رغم اختلافها من حيث الإنتاج و التأويل[11].

إلا أن هذا الاستثمار في المعرفة اللسانية يبدو واضحا و لا يمكن تجاهله أو إنكاره، خصوصا عندما نجد توظيفا لمفهوم الكفاية و المقدرة و الاتساق و اللاتجانس، و هذا كاف ليؤكد أن أي مرجعية لبناء نظرية الخطاب يجب أن تعود في المقام الأول إلى اللسانيات باعتبارنا لم نتخلص إل حدود الساعة من ترسباتها في مجال النقد و الأدب.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ما يزيد من هذا التأكيد هو حصر مستويات التحليل اللساني الخطاب في مستويين اثنين هما: المستوى المقطعي و المستوى التداولي. و هما مستويان أساسيان تتعالق خيوط الالتقاء بينهما إلى درجة تتشابك فيها خيوطه الهندسية حدّ التعقيد، لذلك كان من الواجب أن تضطلع لسانيات الخطاب بفك شفرة هذا التعقيد و تبيان مستوياته من حيث أنه عبارة عن إسقاط لخطاب ما على مستوى التداول اللساني البشري. و عليه فإن مهمة المستوى الأول هي الكشف عن المقاطع التي تربط بين البنى الكبرى و الصغرى، و المتمثلة في المقطع الحواري، و المقطع السردي، و المقطع التفسيري، و البرهاني، و الوصفي. فيما يقوم المستوى الثاني على التحليل التداولي الذي يستهدف مكونات الدلالة المرجعية و المكون النطقي / التلفظي، و المكون البرهاني.[12] و عليه فإن مجال اشتغال لسانيات الخطاب هي العمل على تشخيص و وصف الأداء التواصلي باعتباره فعلا تبليغيا ينسجم مع المقاربة التي قدّمها كل من سورل و أوستين في نظريتهما حول أفعال الكلام.

و إذا كان المجال لا يسمح لكي نوضح أكثر العلاقات التركيبية التي يتأسس عليها المكون المقطعي ، فإننا ملزمون أن نؤكد أن تركيب الخطاب لا يبنى على قواعد النحو الصارمة، بل إنه مجموعة من القوانين الاختيارية التي دفعت بالكثيرين إلى حد إعلان موت النحو التقليدي [نحو الجملة] و تشييع جثمان النحاة القدماء، و إعلان ميلاد نحو جديد فيه من المرونة و الرحابة ما يفيض به فضاء النص[13]. و هي الرحابة التي قادتها نظرية جديدة برمجت في إطار اللسانيات التواصلية هدفها ترسيم الحدود بين الاستعمالات اللغوية التي تتأرجح خصوصياتها بحسب طبيعة العقد الثقافي الذي يحدد العلاقة بين الفرد و الجماعة في توظيف اللغة لتفاوتهم في إدراك المعنى و فهمه، لأن المبدأ المتحكم في ذلك هو أن الجماعة هي من تفرض قواعدها اللغوية على الفرض و ليس العكس، بمعنى أن أي تواصل في إطار عشيرة لغوية يجب أن تراعى فيه كل الخصوصيات التي تجعل للخطاب مقصدية و معنى، رغم الإكراهات و الحواجز التي تحول دون ذلك لاعتبارات لها صلة بالثقافة و الفكر و الحالة النفسية و الاجتماعية للمتخاطبين.

4- الخطاب و إشكالية إدراك المعنى

من بين المواقف الهامة التي يجب التوقف عندها ونحن نتكلم عن إشكالية المعنى هي أن استقلالية الفكر عن اللغة، على الرغم من إمكانية أن يأخذ مكانه في غيابها، وهو موقف يسير في اتجاه معاكس للحدس المشترك الذي يعتبر أن الفكر يأخذ مكانه في اللغة. ونفترض تبعا ل "جاكندوف" (2002) أن الصورة اللغوية تقدم وسيلة للفكر ليكون في متناول الوعي، فإذا لم تكن مستعدا للتعامل مع اللغة والذكاء والوعي والذات والتفاعل الاجتماعي والثقافي، فإنك لن تفهم المعنى[14]، بل إن تدخل تلك الإمكانات هو الذي يساهم في إسقاط العديد من التأويلات في المعجم، وإهمال الكثير من المعطيات الدلالية الأخرى التي ظلت على التخوم ولم تستطع أن تدخل مجال التحليل، ويعود السبب في ذلك إلى مركزية التركيب في الأبحاث اللسانية الأولى مما دفع بكلّ المقاربات البديلة إلى إطلاق النار على المرسل[15].

فإذا كانت المفاهيم قد وضعت من أجل الكشف عن حدود التمايز بين الجملة كما تعالج في اللسانيات وبين الخطاب كما هو على كمستوى من مستويات الممارسة الثقافية، فإن ذلك قد ارتبط بمدى قدرتنا على تشكيل معانيه و مطاوعتها لمحتوى الفكر و الإبداع ، وهو نفس ما ذهب إليه كاتز و فدور (1963) في كتابهما " بنية النظرية الدلالية"[16] و "كاتز" (1972) في مؤلفه " النظرية الدلالية" [17] ، إذ عمدا على ربط المستوى التصوري بالمستوى اللغوي بواسطة مكون الذريعيات، وهو المستوى الذي يخصص العلاقة الموجودة بين المعنى اللغوي و الخطاب، من جانب أخر نصادف تصورات أخرى نجد فيها "تشومسكي"(1975) في كتابه " تأملات في اللغة "[18] قد دافع عن فكرة أن البنيات الدلالية تعدّ فرعا من فروع البنية التصورية، وتحديدا البنيات التي يعبر عنها بواسطة اللغة.

لذلك ظل الهدف هو محاولة الفصل بين هذين التصورين من خلال تطوير العديد من الظواهر اللغوية التي كثيرا ما تتجاوز البنى اللغوية الأولى إلى بناء الخطاب.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

في اللسانيات الحديثة، غالبا ما يفهم الخطاب بوصفه كيانا ينطوي على معنى أو يحمل (تصورا) ما، و هو المعنى الذي أثيرت حوله العديد من المقاربات التي توزعت على اعتبار الخطاب تجربة قصية على المعنى بحكم تنوع مداخله و تشابكها، هذا إلى جانب عديد التساؤلات التي تطرح حول مقصدية المتكلم بطرح الأسئلة المعتادة : ماذا يقصد فلان بكلامه؟ ماذا يريد أن يقول؟ ماذا يعني بذلك؟ و هذا وحده كفيل بأن يحفز اللسانيات على بدل المزيد من الجهد في إيجاد مخرج لهذا التعقيد و الكشف عن ملابساته المعرفية، فانخرط الباحثون في إطار علم الدلالة بكل قوة متسلحين بكل التراكمات المعرفية السابقة من أجل محاولة الدفع بالخطاب إلى أبعد نقطة ممكنة في معرفة الدلالات الخفية و الظاهرة.

إذا كان الخطاب كيان لغوي قوي وصلب يلعب بمعانيه كما يريد، ويتخذ قرار مقصديته منفردا في إقصاء تام لموضوعاته، فإن وجهة النظر التي تقدمها فلسفة اللغة[19] وعلم الدلالة تفترض أن المعنى في الخطاب ما هو إلا نوع من الانزياح، بمعنى أن ينزاح الخطاب عن معناه الحرفي لينتقل بذلك إلى معان أخرى تفهم عبر تدخل القدرات و الملكات التي يمتلكها المتلقي، لأن حدود التمايز القائمة بين اللغة الحرفية تؤسس على قاعدة المرجع، في حين أن لغة الخطاب يجب ،في نظري، أن تتطلب نوعا من التجهيز الإضافي لفهم محتواه وكشف مقاصده ودلالته. فلا يمكن أن نقف عند حدود الفعل مثلا بمعناه اللغوي المتعارف عليه ، بل إن التجهيز التصوري الذي نملكه اتجاهه يجعلنا نتجاوز القائمة اللغوية و ندخل في الجوانب فوق- لغوية لكي ندرك أنه يحمل سمات أخري لا علاقة لها بالأصل.

هذه المقتضيات هي التي حفزت مؤخرا كل من "فاينريش " على كشف أن اللسانيات يجب أن تنظر إلى النص باعتباره تكوينا حتميا يحدد بعضه بعضا، إذ يتحدد المعنى النصي عنده في ضوء تفسير عمل الإحالة بنوعيها القبلية و البعدية، و هذا التحليل النصي من هذه الزاوية البنيوية نجد له قرابة مع ما هو مقدم في إطار النحو التوليدي.

في ظل هذا السياق تعدّ نظرية المعنى، مؤثرة جدا في سياق البحث عن الطرق التي يأتلف من خلالها التركيب، على الرغم من كونها تعاني من عديد المشاكل أهمها أنها ظلت تركز كل اهتمامها على الظواهر اللغوية دون الانتقال إلى معالجة الخطاب، فهي ليست نظرية مساهمة في تنظيم اللغة، كما أنها ليست نظرية تعنى في المقام الأول ببناء طبيعة المعنى اللغوي، فهي تشعرنا بالقلق إزاء استخدام اللغة كأداة منهجية لاستنتاج وجود بناءات لغوية ومعرفية مستقلة، عكس الخطاب الذي يتم الاستدلال عليه بتعابير لغوية لكن بمعان سياقية، إلا أن الهدف الذي نتوخى من خلاله البحث هو العمل على وضع معايير لكل الوظائف اللغوية التي ترتبط دلاليا بالكلمة في بناء المعنى الخطاب، وسوف نحاول أن نبرهن أنه يمكن للخطاب أن يتأسس على مقاربة الدلالة اللغوية المتجسدة في نظرية التمثيل (Représentation Theory)، ونظرية بناء المعنى المعجمي(Lexical Construction Meaning Theory)،[20] إذ تمثل كل من اللغة الحرفية و اللغة المقصدية مجموعة متكاملة من الآليات التي تتداخل في تشكيل المعرفة اللغوية والمعرفة الخطاب، إلا أن هذا الافتراض قد يدفع إلى اعتبار المسألة تفريعا رمزيا للمعرفة له ما يبرره نظريا.

إذا كانت الخطاب في الأساس نسقا لغويا متماسكا، فإنه يعطينا الحق في بلورة نسقه بطريقة تجعل من لغته مظهرا من مظاهر البنية بشكل عام، لأن فهم الخطاب يقوم على أساس الفهم غير اللغوي[21] ، لذلك فهي تنتج لنا فهم مجموعة من التراكيب اللغوية وفق تصورات مختلفة عما وضعت له في الأصل، على الرغم من أننا لا نتوفر على آليات لاكتشافها. فإذا كان من الأرجح أن يُفهم الخطاب بلغة الانزياح ، فسيكون لذلك دلالة معرفية جيدة لكون المسألة هنا تتجاوز البعد الفيزيائي للغة ليتصل بآليات التحليل الاجتماعي و النفسي و الثقافي. لأننا لا نتعامل مع الخطاب من حيث هو مكون نؤشر من خلاله التحقق التركيبي الصارم كما في التركيب أو الجملة، بل نحاول أن نكتشف أنه نتاج تأثيرات نفسية داخلية لا نمايزها إلا من خلال فهم المعنى من حوله.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

إن المقاربة الأكثر جدية و الأوسع انتشارا بشأن المعنى فوق- لغوي تعود في نظرنا إلى عمل لايكوف وجونسون (1980) "الاستعارات التي نحيا بها" الذي أوحى لنا إمكانية التحدث عن الأنساق التي تتدخل في بناء التركيب بالشكل الذي نتصوره، هو التصور الذي نُظّم في شكل مجموعة من الفرضيات التي حاول المؤلفان أن يدافعا عنها. خصوصا تلك المرتبطة بأن التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية محضة، فهي تتحكم أيضا في سلوكياتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها، إذ يؤكدان أن التصورات تُبنين ما ندركه وتبنين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، قبل أن يستخلصا أنه إذا كان صحيحا أن نسقنا التصوري، في جزء كبير منه، ذو طبيعة استعارية، فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا و سلوكاتنا ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة[22]. إلا أن الافتراض الأهم الذي انطلق منه الكتاب، هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة، بل على العكس من ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعدّ استعارية في جزء كبير منها، فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل واحد منا[23]. بمعنى أدق أن أي خطاب لابد و أن تكون معانيه ذات حمولة إنزياحية غير قابلة للفهم إلا من خلال الاستعاب الدقيق لوجود نوعين من البنى في بناء أي خطاب و هما البنية السطحية و البنية العميقة، و هما بنيتان مأخوذتان من التحليل التوليدي للفكر البشري، فكما أن الفكر اللغوي عند الإنسان له معجم ذهني يحتاجه عندما يريد أن يركب متواليات لغوية بتدخل سريع لمبدأ التأويل الدلالي، فإن ذلك أجده منسجما مع النص أو الخطاب، إذا ما اعتبرناه كائنا حيا يقول شيئا يفهم و يدرك و يؤول، إلا أن هذا الفهم يجب أن يؤطر بالعديد من التصورات حول الانزياح و الاستعارة باعتبارهما ظاهرتين فوق لغويتين، فلكي يكون لنا نسقنا الخطابي الخاص يجب أن ترتبط لغته بسلوكاتنا وإدراكنا وتصوراتنا ، الشيء الذي سندافع عنه من منطلق أن اللغة التي نبني بها خطابنا هي التي تمنحنا إمكانية التعبير عنه، لهذا السبب فإن دراسة الخطاب من منظور المعنى شيء يتجاوز المألوف بدرجتين لأنها تمنحنا فرصة لكي نكشف عن البعد التواصلي الذي يربط بين المعنى اللامتغير والمعنى المرمز (Encoded) في لغة ما، وهو اختصاص علم الدلالة، من ناحية، وبين العناصر المطابقة لمعرفتنا بالعالم الخارجي، وهو اختصاص الذريعيات (Pragmatics) [24] من ناحية أخرى.

إن ما يقرر إشارتك إلى المعنى المقصود هو الذي تتأسس عليه معنى الخطاب، لأنك ضمنيا تؤشر فيه على الثوابت التي تبني الخطاب مثلا الاتساق و الانسجام والتكرار و القياس و الروابط الضمنية و الواضحة و التوازي... مع استحضار ضمني إلى الوسائط الممكنة التي تدخل في تشكل كل واحد من الأنساق ، ناهيك عن دور تجربتك مع المحيط أو العالم الخارجي. و عليه نفرض أن الوسائط التي تمنحها لنا اللغة و الثقافة، وبالنظر إلى نوع وطبيعة التجربة، هما اللذان يساهمان في بناء نسقنا الخطابي.

إن التجهيز الهندسي للخطاب يعود بالأساس إلى طبيعة الجهاز المعرفي الذي يملكه الإنسان بحيث يسهل بشكل كبير عملية إدراك الخطاب وتأويله، حتى أن اللغة في هذا المستوى من التحليل قد تشكل وسيطا معرفيا خارقا ينقل الخطاب من بعده الحرفي بإسقاط مضامين جديدة عليه، فتأويل الخطاب في إطار سياق ما يجعلنا نتصور كأننا أمام نقطة وصول نهائية ، فالكلمة وجه مكشوف داخل التركيب تحمل مجموعة من الذرّات الدلالية المنصهرة داخله، وعليه، فإن الكلمة في مستوى من مستويات التحليل عبارة عن بنيات يتم دمجها معجميا (Lexical insertion) عبر آلية الإصهار(Fusion)[25]، فالبنية الدلالية التي يكشف عنها الوجه الأول أو الصادم للكلمة أغنى وأعمق بكثير من المستوى البسيط الذي تظهره، فهي وجه خدّاع يجعل الكثير من السمات الداخلية التي لا يتم الكشف عنها إلا عندما نستعين بآليات كاشفة و خارقة مثل الاستعارة. بهذا المعنى، تعدّ الاستعارة قوّة كشف للبنى/السمات الداخلية التي نستحضرها بوعي أو بدون وعي لكنّنا نؤولها من خلال النسق التجريبي الذي نملكه جميعا، وإذا لم يكن الأمر ذا بعد صائب لكانت كل الخطابات الموظفة بنى لاحنة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

5 - الخطاب : جذور الثقافة و مشكل التأويل

قد يكون من الصعوبة بمكان أن نقترح نظرية تأويلية للخطاب خارج حدود المعنى و الثقافة، و قد يكون من المستبعد أن نجد مقاربة مثالية تخلص النصوص من الافتراضات و المعاني و التأويلات التي تسقط أو يتم إسقاطها عليه من طرف القارئ أو المتلقي، فنحن ندرك دائما وجود تجليات تجريبية سابقة تعطينا مؤشرات تأويلية قوية، على اعتبار أن كلّ محاولة تروم تحديد قواعد لإنتاج استعارات اصطناعية لن يترتب عنها سوى توليد استعارات ميّتة، أو أقلّ تقدير استعارات تافهة، فغالبا ما ينتج المتكلم استعارات عن طريق تداعيات فكرية لا يمكن التحكم فيها[26].

الواقع أننا نفصح دائما عن مجموعة من المقتضيات التي تساعدنا في عملية الكشف عن الطرق الممكنة التي نتفاعل بها مع العالم والمحيط، بناء على مجموعة من الخطاطات التي تتكون في أذهاننا نتيجة تواترها المستمر في تجربتنا، وتشكل هذه الخطاطات أساسا جوهريا لبناء العديد من التأويلات التي تساهم في تشكيل المعاني وتحويل المؤشرات اللغوية إلى مؤشرات دالة، تفكّ رموزها وتحقق عملية التواصل المرجوة، فكلّ التصورات المكونة للاستعارة سواء أكانت تأويلية أم لا تعكس بشكل جلّي ذلك التفاعل الموجود بين المحيط الفيزيائي في العالم وبين الإنسان، أو بصيغة أخرى ذلك التفاعل الذي يجعلنا نبنين الخطاب وفق حاجياتنا ووفق ما تقتضيه الضرورة.

إن التداعيات الحرة التي يملكها الذهن في عملية التأويل تجعل من تواصلنا الخطابي تواصلا مرمّزا (Encoded)يجب فكّ شفرته، بل إنه تواصل بالغ الحساسية بالنسبة للسياق، فانتقاء حيّز دون آخر يتم فقط من أجل نقل المعنى، لكنه يجعل من القارئ (المتلقي / المخاطب) مؤوّلا نموذجيا، لهذا السبب فإن دراسة الخطاب تعطينا فرصة جيّدة للبحث عن الفرق بين المعنى اللامتغير والمعنى المرمز، ممّا يعطي الانطباع أن تأويله تأويلا صائبا تتحكم فيه العديد من القوى الداخلية وتحديدا المعطيات الثقافية[27]، ولنقُل المعطيات التي لها صلة بالتجربة، إذ يظهر المعنى من خلال توظيف مجموعة من التداعيات التي ترافق العناصر اللغوية في ذهن مستعمل اللغة، وهي التداعيات الراسخة التي تجعل التواصل تواصلا واعيا شديد الحساسية في السياق[28].

في ظل الحديث عن اللسانيات النص و دورها في فهم الخطاب، فإن هذا الفهم قد اصطدم بمشكلين اثنين، مشكل المعنى ومشكل التأويل، بالنظر أنهما مشكلان مستقلان عن بعضهما البعض، على اعتبار أن تحديد أيّ معنى للخطاب يتطلب البحث عن التداعيات اللغوية والمعجمية والدلالية التي يتم التوصل إليها بعد ولادة قيصرية للكثير من الخلفيات الراسخة والمركّزة في الذهن، في حين يبقى التأويل مستوى آخرَ أعلى درجة وأكثر تعقيدا، خصوصا عندما يرتبط هذا المبدأ بالقراءة الجيّدة للمعنى مع إمكانية تفسيره وربطه بكل جزئياته الذهنية والثقافية، وعليه فإننا نؤكد أنه لا يمكن أن تقوم للخطاب قائمة تواصلية إلا عندما يتم الربط بين المعنى والتأويل، و أنّ إسقاط أحدهما من العملية يفرض إسقاطا للبنية الخطابية تماما، فالمعنى ملازم للتأويل، والتأويل لا يمكن أن نفكّ رموزه اللغوية إلا عبر خطوة تجديد المعنى.

لكن إذا افترضنا أنّ جلّ المداخل المعجمية تعد جزءا من القدرة اللغوية للمتكلم، فإنها تعدّ خاصية إنسانية مشتركة بين جميع المتكلمين، وهذا تفسير يشرح التطابق الموجود بين المعنى والتأويل (Interprétation)، إلاّ أن هذا الافتراض قد تعوقه مجموعة من التفاصيل خصوصا في عملية استعمال اللغة، إذ لا يمكن أن نسلم بوجوده إلا عندما نملك القدرة على تجاوز كل ما هو شائع ونمطي في اللغة[29].

بيّن "أمبرتو إيكو" أن التأويل خاصية تشاركية في التواصل اللغوي ، إذ لا يمكن أن يعدّ نتاجا دلاليا جاهزا مأخوذا من النظام اللغوي، لكنه يعدّ نفسه، نتاجا لعملية تأويلية منفصلة، لذلك فإننا نفترض أن الخطاب هو مشكلة تأويلية، إنّها لغز كما أقرّ بذلك أرسطو، فمعناه يظل دائما مفتوحا على عوالم تأويلية متعددة، فوجب ألاّ نستنفذ معه كلّ ما يتعلق

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

بالتصور على المستوى المعرفي، لذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى فحص أهم العوامل التي تتحكم في ضبط عمليات التأويل بأكملها منها الاسترجاع و الاستبصار و الحدس[30].

يتحدد الفرق بين هذه العمليات عندما نوجّه عبارة استعارية إلى متكلمين يتكلمون اللغة نفسها،أو لنقل إلى نفس المتكلمين الذين يملكون "الخلفية الثقافية" نفسها، لكن عندما نضيف "المعرفة المشتركة" فإن التأويل الاستعاري يعرف الكثير من العراقيل التواصلية، الأمر الذي يجعل من عملية التواصل اللغوي شيئا صعبا جدا، بموجب ذلك تفترض عملية التأويل وجود أكبر قدر ممكن من "المعرفة المشتركة" حتى يسهل الفهم والإفهام وتيسّر معه المعرفة، فالحدود اللغوية هي في الوقت نفسه حدود لثقافات وعادات وتقاليد لمجموعات مختلفة[31]، وهي حدود لكمّ هائل من التجارب التي تضيق أو تتسع من بلد لآخر، لكن رغم ذلك فإن كلّ "عشيرة لغوية" تشكل منظومة تواصلية خاصة، تخلق لنفسها أبعادا تواصلية مكثفة الإيحاءات والرموز، وهو بعد يؤمّن تقوية مجموعة من الاعتقادات والمواقف المتجانسة، وبالتالي فهي تساهم في تكوين عالم مشترك، لكن ليس "معرفة مشتركة "، وإذا كان هذا العالم المشترك يحفظ لنا تماسكنا اللغوي، فإنه في مقابل ذلك، يفقدنا السيطرة على تأويل المعنى بالقيمة المعرفية التي نريد إيصالها، بل إنه يفقدنا السيطرة في تبديد المسافة التواصلية التي توجد بين لغتين (ثقافتين / تجربتين)، فيظل التأويل محتفظا بقوته كامنة في طبيعة المشترك الذي يجمع بين متكلمين لنفس اللغة، وتضعف هذه القوة عندما تزداد الهوة بين اللغات[32].

فإذا كانت كلّ "عشيرة لغوية" تستعمل أبعادا خاصة في عمليات تواصلها، فإن الأمر سينطبق أيضا على خطاباتها، باعتباره يشكل أحد أهم الكيانات الثقافية التي تشتغل اللغة على منسقتها معرفيا من لغة لأخرى، فكل ثقافة من الثقافات العالمية تسيطر على التأويل وفق نمط تبدأ منه و تنتهي إليه، وهذا يؤكد أن عملية التأويل ستعرف هي الأخرى عرقلة تواصلية كلّما ابتعدت عن المحيط الذي تُنتج داخله بالنظر إلى المعايير الثقافية الخاصة.

إن مشروعية التوصل إلى المعنى أو التأويل المناسب لا يمكن أن تنبثق إلا من خلال السياق العام الذي يفرضه المتكلم على لغته، وأي شيء غير هذا، سيولد شذوذا دلاليا، هو الشذوذ الذي يستدعينا دائما إلى أخذ الكثير من الحيطة والحذر عندما نصطدم بالتأويل الخطابي الذي يملك قوة ايحائية كبيرة تساهم في بناء المعنى، وبناء نسق معجمي مستوف لكلّ ما من شأنه أن يدخل في تنظيم المعجم ومنسقته، لذلك فإن فعل التأويل يجب أن يراعي كل الخصوصيات والسمات والمعطيات التجريبية والثقافية في بناء المعجم.

تبشرنا التحاليل التي أقيمت على الخطاب أن كل الأدبيات اللّسانية أعطت استنتاجا مفاده أن كل هذه المقاربات لم تكن متجانسة، فقد تنوّعت بحسب تنوع الطرق التي سلكتها في بناء التنظيم العام للنحو[33] فتنوع هذا التنظيم بين مجموعة من القواعد التي فرضت علينا بناءً نسقيا للخطاب. وبالنظر إلى كل القيود التي فرضت على مبدأ التأويل، ندرك أن كلّ المداخل المرتبطة بفهم مقاصد الخطاب تتضمن قيودا سياقية تتلاءم ومعاني الألفاظ المكونة للجملة، فكلّ بنية لغوية تتشكل بقيود انتقاء خاصة تمايز كل نسق عن آخر بما يضمن الاختلاف ويضمن التمايز المنشود في تأويل كل أنواع الخطاب الممكنة.

الأكيد أن أي تأويل للخطاب سيعمل على استثمار كل المعطيات التي لها علاقة بالبعد المعرفي المشترك من أجل خلق وتوليد علاقات تواصلية كافية وناجحة، إلا أن البعد المعرفي المشترك قد لا يكون كافيا لكي يكون للخطاب تأويلا واحدا مشتركا، بل من الممكن أن يرتبط الأمر بالتجربة الفردية أو البعد الفرداني في عملية التأويل أو بالبعد النفسي الذي يعطيه للغة، الشيء الذي يؤثر على عملية الفهم وعملية الإفهام.

خاتمة

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

تتفق كل هذه المقاربات على أن كلّ معاني الألفاظ في اللغة لها دلالة ثقافية خاصة، وهي دلالة نابعة من المستوى التصوري الذي يمنسق التقاطنا للتجربة فنعبّر عنها باللغة، وهو مستوى تصوري متسق ومطرد مثله مثل القواعد النحوية، بل إن هذا المستوى التصوري يدخل في إطار المعرفة النحوية العامة المتوافرة عند الإنسان، وعلى النظرية الدلالية، باعتبارها الوعاء والمجال الفرعي للنظرية اللغوية، أن تحدد المبادئ الدلالية العامة التي تتحكم في إنتاج الخطاب، وترصد القواعد التي تتيح لنا التوسع في معاني وحداته المعجمية. بل يجب أن تصل إلى مستوى أعمق من ذلك من خلال امتلاكها القدرة على إزالة الالتباس والتباين والغموض.

ويفترض من هذه القواعد أن تشكل بنية نسقية لوجود معاني ممكنة ومعاني غير ممكنة، بمعنى وجود قواعد نسقية تتيح التعامل مع الممكن وتقصي في الآن نفسه غير الممكن، فيكون الممكن هو ما نتصوره موجودا في بيئتنا التصورية، لذلك وضعت الأدبيات اللسانية العديد من القيود على مسألة التأويل، وهي قيود لا يمكن أن نسلّم بعموميتها وشموليتها، إلا لأنها تقرّبنا نسبيا من إدراك حجم المسؤولية التي يجب أن نستشعرها قبل أن نصل إلى تأويل عبارة أو خطاب ما، فتنوع الخطابات مثلا، لا يمكن أن يتوازى مع كل المعاني التي نرمي القصد إليها.

قائمة المراجع العربية:

- آدم كوبر (2008): **الثقافة: التفسير الأنتربولوجي**، ترجمة تراجي فتحي،عالم المعرفة، العدد 349، مارس .المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب. الكويت

- أحمد يوسف (1997)، **تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السميائيات**، ضمن مجلة نزوى ، أكتوبر ، العدد 86 .

- أمبيرتو إيكو(2004)، **التأويل بين السميائيات و التفكيكية**، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب .

- تريـزا دوبرزينسـكا (2011)، **ترجمـة الاسـتعارة: مشـاكل المعنـى** ، ترجمـة شـكيب بنيني ، ضـمن الاسـتعارة و المعرفـة ، مختبـر اللسـانيات والتوصـل، إعـداد خالـد بـرادة، عبـد المجيـد جحفـة، منشـورات المختبـر،/ كليـة الآداب، بني امسيك – البيضاء.

- جاكنـدوف (2002)، **الدلالـة مشـروعا ذهنيـا**، ضـمن دلالـة اللغـة و تصـميمها، ترجمـة محمـد غـاليم، دار توبقال للنشر، المغرب.

- جـورج لايكـوف (92)، **النظريـة المعاصـرة للاسـتعارة**، ترجمـة محمـد الأمـين مـومن، ضـمن الاسـتعارة والمعرفـة مختبـر اللسـانيات والتوصـل، إعـداد خالـد بـرادة، عبـد المجيـد جحفـة، منشـورات المختبـر،/ كليـة الآداب، بني امسيك – البيضاء.

- ديكلي و فلاكـول (98) ، **الدلالـة المعرفيـة للعمـل**، ترجمـة أحمـد برسـول ،ضـمن أبحـاث لسـانية ، المجلـد 5 ، العدد 1: 2000، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب، الرباط.

- عبـد الحميـد عبـد الواحـد (2007)، **الكلمـة في اللسـانيات الحديثـة**، قرطـاج للنشـر و التوزيـع، السـفاقص ، تونس

- عبـد الكبيـر الحسـني(2015)، **البنيـات الدلاليـة للـزمن في اللغـة العربيـة: مـن اللغـة إلى الـذهن**، دار كنـوز المعرفة، الأردن

- عبد المجيد جحفة (2000) ، **مدخل إلى الدلالة التوليدية** ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، المغرب.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

- عبد العزيز حمودة(2003)، **الخروج من التيه**: دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، العدد 298، الكويت.

- سمير شريف إستيتية (2006) **ثلاثية اللسانيات التواصلية** ، ضمن عالم الفكر، العدد 3، المجلد 34،

- سيلفان أورو (2010)، **فلسفة اللغة**، ترجمة عبد المجيد جحفة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت، لبنان.

- لايكوف و جونسون (1980) ، **الاستعارات التي نحيا بها** ، ترجمة عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر، المغرب.

- ماريو باي (1997)،: **أسس علم اللغة**، ترجمة : أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب ، مصر

- محمد غاليم (2007)، **النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة** ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب.

- محمد غاليم (1999)، **المعنى والتوافق**، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب، الرباط ، المغرب.

- نعمان بوقرة(2012) **لسانيات الخطاب** ، عن دار الكتب العلمية ،العدد 1. بيروت ، لبنان

قائمة المراجع الأجنبية:

-Croft, W & Cruse, D (2004). **Cognitive linguistics.** Cambridge: Cambridge University Press.

- Chomsky(75) ,**Reflection On Language** , Pantheon , New York

- **Jean-Michel Adam** (2005). **La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours. Paris, Armand Colin**

- Katz (72), **Semantic theory** , Harper & row publishers

-Katz & Fodor (63) . **The structure of a semantic theory**, language;39

-Lakoff, G (2006).**Conceptual metaphor**, in cognitive linguistics, Gruyter berlin,New York

-Lakoff, G. (1993). **The contemporary theory of metaphor**. In A. Ortony (ed.), Metaphor and Thought, 2nd edition Cambridge: Cambridge University Press.

-Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). **Metaphors We Live By**. Chicago: University of Chicago Press.

- Miller & Johnson- Laird (76). **Language and perception**. Harvard University Press.

الهوامش

[1] Pernier.M, Le mot, pp.18.19

[2] ماريو باي : أسس علم اللغة، ترجمة : أحمد مختار عمر ، ص 112

[3] عبد الحميد عبد الواحد 2007، الكلمة في اللسانيات الحديثة،ص 62

[4]- أحمد يوسف، تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السميائيات، ص، 2

[5] - نقصد بالعشيرة اللغوية كل جماعة إنسانية تتكلم لغة معينة متفق على معانيها، تحقق قدرا كبيرا من التواصل بناء على طبيعة التراكيب و المعجم الموظف بينها.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

[6] - لا تزال مجالات تحليل الخطاب تزاوج بين الذين يتشبثون بمنطق ضرورة تحليل الخطاب داخل مختبر اللسانيات لتنوع مجالاتها المعرفية وبين من يدعون إلى ضرورة توسيع مجالات اللسانيات لتشمل النقد و فلسفة اللغة بوصفها قناة لكل معرفة متوخاة.

[7] كانت الشرعية التي قامت عليها التفكيكية هي شرعية فلسفية منذ القرن 17، ابتداء بواقعية جان لوك، و مرورا بمثالية كانط، و انتهاء بظاهرية هوسيرل، و وجودية سارتر، و تأويلية هادجر، و هي شرعية آمنت بفكرة شرعية الفوضى ، لا نص ، لا معنى ، لا مركز، لا سببية ، لا عقلانية، و هي فوضى ساهمت في بناء حداثة ثقافية عامة و استراتيجية تفكيك خاصة* مقتطف من كتاب الخروج من التيه، تأليف عبد العزيز حمودة ، ص156 و 157، عن عالم المعرفة نوفمبر 2003. العدد 289

[8] للاطلاع أكثر حول هذا الموضوع المرجو العودة إلى كتاب لسانيات الخطاب لدكتور نعمان بوقرة عن دار الكتب العلمية ،2012

[9] هنا يجب أن ننوه بالأعمال الأولى التي وضعت الحجر الأساس لبناء مشروع لساني يستهدف النص باعتباره نشاطا سيميائيا و لسانيا أمثال: ج.م أدام ، و غريماس و بارت و تدوروف و جوليا كرستيفا و أندريه مارتنيه و غيرهم، إذ تعتبر دراساتهم مرجعا مهما لمعرفة الأسس العامة التي قامت عليها نظرية النص في إطار النقد اللساني.

- J. M. Adam, elements de linguistique textuelle, p 107.112[10]

[11] كتاب لسانيات الخطاب لدكتور نعمان بوقرة عن دار الكتب العلمية، ص، 28

[12] كتاب لسانيات الخطاب لدكتور نعمان بوقرة عن دار الكتب العلمية، ص، 29

[13] للإضلاع و التوسع أكثر في هذين المستويين المرجو العودة إلى المرجع نفسه، ص 31

[14]- جاكندوف (2002)، ***الدلالة مشروعا ذهنيا*** ،ص 13

[15] - جاكندوف (2002)، ***الدلالة مشروعا ذهنيا*** ،ص،12

[16] - Katz & Fodor (63) , ***The structure of a semantic theory***, language , 39

[17]- Katz (72), ***Semantic theory***, Harper & row publishers

[18] -Chomsky(75) ,***Reflection On Language*** , Pantheon , New York

[19] - للتوسع أكثر في هذا المجال، نرجو الاطلاع على كتاب ***فلسفة اللغة*** (2004)، ترجمة عبد المجيد جحفة.

[20] - تقوم هذه النظريات حول مسألة التجانس الذي ينبغي أن يتحقق بين المعلومات القادمة من اللغة و المعلومات الآتية من الأنساق الخطابية، إلا أن المستوى الذي يجب أن توجد فيه هذه المعلومات يجب أن يكون عاما تلتقي فيه كل التمثيلات القادمة من مختلف الأنساق البشرية، و من ثمة يبنى المعنى المعجمي بوصفه خرجا لما هو إدراكي/ تصوري.

[21] - عبد الكبير الحسني (2015)، ***البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية***: من اللغة إلى الذهن، ص، 206.

[22] - لايكوف و جونسون (80)، ***الاستعارات التي نحيا بها***، ترجمة عبد المجيد جحفة ، ص ، 21.

[23] - عبد الكبير الحسني (2015)، ***البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية***: من اللغة إلى الذهن، ص، 207.

[24] - تريزا دوبرزينسكا (2011)، ترجمة الاستعارة: مشاكل المعنى ، ضمن الاستعارة و المعرفة ، ص،115.

[25] - للاطلاع على هذه المعطيات يرجى العودة إلى كتاب "المقارنة و التخطيط" للفاسي الفهري" (98) ، أو " البرنامج الأدنى " للتشومسكي (95). اللذان يؤكدان أن مسألة الدمج المعجمي تفترض أن كل كلمة في المعجم تحتوي على الكثير من السمات المصهرة داخلها بصورة محوسبة و منطقية مثلا الفعل "لعب" يمتلك سيمات معجمية مصهرة داخله من قبيل +متعدي، + حدث، + زمن ، + محور....

[26]- امبيرتو إيكو(2004)، **التأويل بين السيمائيات و التفكيكية**، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،ص165،145

[27] - ندفع بالثقافة نحو اعتبارها المشترك التنظيم الجمعي للفكر الذي يجمع بين الأفكار و القيم، و هي الأشياء التي يتم ترجمتها إلى رموز لغوية تحوي الجمال و الفضيلة و القيم و الحب و الأفكار.

[28] - تحدث "لايكوف و جونسون" في مقدمة الاستعارات التي نحيا بها أن التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية و حسب، بل تتحكما أيضا في سلوكاتنا اليومية البسيطة ، فتصوراتنا تبنين ما ندركه و تبنين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، و بهذا يلعب نسقنا التصوري دورا مركزيا في تحديد حقائقنا اليومية، فإذا صح أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية ، فأنه يرتبط بشكل كبير بالاستعارة.

[29] - عبد الكبير الحسني (2015)، ***البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية***: من اللغة إلى الذهن، دار كنوز المعرفة، الأردن،ص 239.

[30] - للاضطلاع أكثر عن التفاصيل التي تمايز الاسترجاع عن التذكر من جهة ، و من جهة أخرى الاستبصار عن الحدس يرجى العودة إلى مقال ثلاثية اللسانيات التواصلية لسمير شريف إستيتية ، ضمن عالم الفكر، العدد 3، المجلد 34، 2006

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

[31] - وجدت في كتاب **الثقافة** لآدم كوبر، صفحة 248 ، و الذي نقله إلى العربية تراجي فتحي ، " أن العلم الأكاديمي الجديد يفرض على الدراسات الثقافية التي تضم الفنون الجميلة و الأدب و البحث و الثقافة الشعبية ذي الحدود الفضفاضة حدّ الغموض (مزيج مما كان يطلق عليه الفلكلور) يفرض تحديا قويا يفصل بين ثقافة الصفوة كثقافة رفيعة و كشكل من أشكال الاستهلاك البيّن و بين الثقافة الشعبية التي يتعامل معها بلطف شديد باعتبارها ثقافة جماهيرية." و حينما تقدم الثقافة الشعبية على مقاومة النخبة فإنها تقدم أفضل نموذج على التطور و بناء نسقها الخاص الذي يجعلها متمايزة بشكل أو بأخر عن الكل، بل إنها تؤسس للاختلاف الذي يمايز بين ثقافات شعوب العالم.

[32] - عبد الكبير الحسني (2015)، **البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية**: من اللغة إلى الذهن، ص 241.

[33] - للتوسع أكثر أنظر جحفة (2000)، ***مدخل إلى الدلالة الحديثة*** ، ص،22

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548